مجلة الإحياء، المجلد: 21، العدد: 28، جانفي 2021، ص - ص: 961 – 970
الترقيم الدولي: 1112-4350 الترقيم الدولي الإلكتروني: 2588-2406

المؤسسات التاريخية وجهودها في حفظ المخطوطات العربية والجزائرية في القرن 19 م ـ المدرسة الاستشراقية الفرنسية في الجزائر أنموذجا –

The historical institutions and their efforts in preserving the Arabic and Algerian manuscripts in the 19th century "The French Orientalist School in Algeria "

طالب دكتوراه برقية عبد الحميد* **المشرف د/ محمد شرقي**
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية- جامعة 8 ماي 1945 قالمة
مخبر التاريخ للأبحاث والدراسات المغاربية
berreguia.abdelhamid@univ-guelma.dz

تاريخ الإرسال: 2020/10/12 **تاريخ القبول: 2020/12/05**

الملخص:
اهتمت المدرسة الاستشراقية الفرنسية بالتراث العربي الإسلامي المخطوط، وأولى المستشرقون الفرنسيون عناية خاصة بالمخطوطات العربية والجزائرية، جمعا وحفظا وفهرسة وتحقيقا وتنظيما، وذلك بالبحث عنها وعن مصادرها، واستعملوا لذات الغرض جميع الوسائل المشروعة (كشرائها من أصحابها)، أو الغير مشروعة كسرقتها والاستيلاء عليها وعلى المكتبات الجزائرية زمن الاحتلال الفرنسي، وانشئوا بذلك المكتبات، كالمكتبة الوطنية بفرنسا والمكتبة الوطنية بالجزائر، وأسسوا الجمعيات والمجلات المتخصصة، كالمجلة الأسيوية والمجلة الإفريقية والجمعية التاريخية الجزائرية وغيرها من المؤسسات، وعكفوا أيضا على جمع المخطوطات الجزائرية المنتشرة في أنحاء الوطن والتعريف بها، ووضعوا لها مجموعة من الفهارس كفهرس المخطوطات في المكتبة الجزائرية (فانيان و تلمسان)، وفهرس المخطوطات العربية الموجودة في المكتبات والزوايا كعين ماضي وتماسين وورقلة، وفهرس المخطوطات بزاوية الهامل، ومكتبة قسنطينة والجامع الكبير .
يهدف هذا البحث إلى إبراز الدور الذي قامت به هذه المدرسة في هذا المجال، من خلال تتبع أعمال مستشرقيها في فرنسا وفي الجزائر، والمجهودات الكبيرة التي دامت أكثر من قرن من الزمن، ولهم الفضل في جمع تراثنا وحفظه بحسن نية أو بسوئها، ولعل من الإنصاف أن نقر بهذا الدور لأنه لولاهم لما عرفنا تراثنا .
الكلمات المفتاحية : المخطوطات، المدرسة الاستشراقية الفرنسية، المستشرقين الفرنسيين، المكتبات، الفهارس، الحقبة الاستعمارية.

Abstract:
The French Orientalist School cared about the Arab-Islamic heritage in the manuscript, and the French Orientalists gave special attention to the Arabic and Algerian manuscripts, collecting, preserving, indexing, investigating, and organizing, by searching for them and their sources, and for the same purpose they used all legitimate means (such as buying them from their owners) ... or illegitimate as they stole and seized them and libraries Algerian during the French occupation, and they established libraries, such as the National Library in France and the National Library in Algeria, and established specialized associations and

* المؤلف المرسل.

magazines, such as the Asian Journal, the African Journal, the Algerian Historical Society, and others. From the institutions, they also worked on collecting and introducing the Algerian manuscripts scattered throughout the country, and put in it a set of indexes such as the manuscript index in the Algerian Library (Fannian and Tlemcen), and the index of the Arabic manuscripts found in libraries and angles such as past eyes, tasmasin and Ouargla, and the manuscripts index at the angle of the Hamel, and a library Constantine and the Great Mosque.
This research aims to highlight the role that this school played in this field, by tracking the work of its orientalists in France and Algeria, and the great efforts that have lasted for more than a century, and they have the credit for collecting and preserving our heritage in good or bad faith, and it is fair that We acknowledge this role because without them we would not know our heritage

Keywords: manuscripts, French Orientalist School, French Orientalists, libraries, catalogs, colonial era.

مقدمة :

ان التراث المخطوط يشكل ركيزة أساسية من ركائز التراث البشري عامة، فهو ثروة علمية لها دور فعال في نقل العلم والحضارة عبر العصور، فالمخطوطات تعرفنا بمدى تمسك الأمة بأصالتها، فهي كل ما وصل إلينا مكتوبا في علم من العلوم أو فن من الفنون، ولقد حضي هذا التراث بمكانة عظيمة في العالم الإسلامي وفي الجزائر اين لقي عناية واهتماما من قبل المستشرقين الفرنسيين سواء أولئك الذين ينشطون في الجزائر أو الذين يقيمون في فرنسا، وقد ذكر محمود المقداد الهدف من جمع المستشرقيين للمخطوطات وهو محاولتهم التعرف على أخلاق العرب والشرقيين وعاداتهم وتقاليدهم ، ولقد جند لهذا الغرض رهبانا ومبشرين وتجارا ودبلوماسيين ...ومستعربين ، كلفوا خصيصا لهذا العمل[1].

ولدراسة علم المخطوطات لا بد من معرفة كيف وصلت إلينا، والطريقة التي كتبت بها، والمصطلحات التي حوتها، ومعرفة أدوات الكتابة، وأنواع الخطوط، وتطورها، والتعرف على صناعة الورق، ونسخ المخطوطات، وتطور التأليف، والإملاء، ثم معرفة المراجع التي يعتمد عليها في معرفة المخطوطات، ومحتوياتها، وأماكن حفظها، وطريقة التعامل معها، وغير ذلك من الموضوعات التي تسير التعرف بالمخطوطات[2]، وعليه نطرح الإشكال الرئيسي لهذا البحث : إلى اي مدى يمكن اعتبار جهود المستشرقين الفرنسيين في البحث والتحقيق في المخطوطات العربية في الجزائر دراسات موضوعية ؟ وتندرج تحته مجموعة من الإشكالات الفرعية والتي سنحاول الإجابة عليها من خلال هذا البحث :

ما المقصود بالاستشراق ؟ وما هو تعريف المخطوط ؟

ماهو منهج المستشرقين الفرنسيين في حفظ وتحقيق المخطوطات؟

كيف كانت اهتمامات المستشرقين الفرنسيين بالمخطوطات العربية في الجزائر؟ وماهي اهم مؤسساتهم التي اعتنت بالمخطوط العربي؟

ما هي أهم الفهارس التي قام المستشرقون الفرنسيون تحقيقها وإخراجها في الجزائر؟

من هم أعلام المستشرقين الفرنسيين الذين عملوا في مجال المخطوط في الجزائر؟ وما هي أهم انجازاتهم؟

1- تعريف الاستشراق :

الاستشراق مُصطلح وَاسعُ يشمل ميادين عِدَّة، تَعْمل في حقل الدِّارسات الشَّرقية المختلفة، يراد بالاستشراق اليوم دراسة الغربيين لتاريخ الشرق وأممه ولغاته وآدابه وعلومه وعاداته ومعتقداته وأساطيره ولكنه في العصور الوسيطة كان يقصد به دراسة العبرية لصلتها بالدين و دراسة العربية لصلتها بالعلم ويقدم

ادوارد سعيد تعريف للمستشرق بأنه: هو كل من يدرس الشرق أو يبحثه سواء في جوانبه المحددة أو العامة وسواء كان هذا المستشرق انثروبولوجيا أو عالم اجتماع أو مؤرخا أو فيلولوجيا إنما هو مستشرق وما يفعله هو استشراق[3]، والمستشرقون orientaliste وفي أحيان يدعون Arabisant (المستعربون) علما انه ليس كل مستشرق مستعرب، وهم جماعة من المؤرخين والكتاب الاجانب الذين خصصوا جزءا كبيرا من حياتهم في دراسة وتتبع المواضيع التراثية والتاريخية والدينية والاجتماعية للشرق الاسلامي، وتتصف المدرسة الاستشراقية الفرنسية بان مستشرقيها الأوائل اهتموا باللغة العربية وبالأدب العربي[4].

2- تعريف المخطوط:

المخطوط هو المكتوب بالخط لا بالمطبعة ، والمخطوطة هي النسخة المكتوبة باليد ، أما التعريف اللغوي له فهو كل ما خط باليد وهو ما يقابل اليوم في المعنى العام المطبوعة، فما يتم نسخه أو تدوينه باليد يعتبر مخطوط [5]، والمخطوطات جمع مخطوط وهي اسم مشتق من خط الكتاب أي : سطره وكتبه سواء كان كتابا أو وثيقة أو شاهدا على قبر[6] ، وهي كل كتاب قديم كتبه مؤلفه بخط يديه أو بخط تلامذته ، أما في وقتنا الحالي فكلمة مخطوط تستخدم للدلالة على الكتب المكتوبة والتي خلفها لنا القدماء وهي ترجمة لكلمة manuscrit بالفرنسية أي كلمة مطبوع[7].

3- منهج المستشرقين في تحقيق المخطوطات:

تعد المخطوطات روح الأمة النابض بالحياة ومهد كل حضارة ، اذ أنها سبيل كل عالم وباحث ومصدره الغني بالمعرفة، فهي مصادر أولية للمعلومات الموثقة والتي تعنى بالعديد من الموضوعات ومن خلالها يسعى الكثير من الباحثين إلى الاعتماد الكلي أو الجزئي على ما ورد فيها من معلومات ، وعلى هذا النحو عمد المستشرقون الفرنسيون على اعتماد مناهج ووسائل حديثة لدراستها، فعملوا على تحقيقها جمعا وحفظا وصيانة وفهرسة وعناية ، والغاية من ذلك كله هو تنشيط الدراسات العربية في أوروبا، وفي هذا الصدد يقول المستشرق رودي بارت : نحن معشر المستشرقين عندما نقوم اليوم بدراسات في العلوم العربية والإسلامية، لا نقوم بها فقط لنبرهن على تقديرنا الخاص للعالم الذي يمثله الإسلام ومظاهره المختلفة، والذي عبر عنه الأدب العربي كتابة، ونحن بطبيعة الحال لا نأخذ كل شيء ترويه المصادر على عوامه، دون أن نُعمل فيه النظ، بل نقيم وزنا فحسب لما يثبت أمام النقد التاريخي، بل نطبق عليه المعيار النقدي نفسه الذي يطبقه على تاريخ الفكر عندنا وعلى المصادر المدونة لعالمنا نحن[8] .

4- المكتبة الوطنية الفرنسية واهتمامها بالمخطوطات العربية[9]:

وجد مستشرقو القرن 19 أنفسهم في عز المغامرة الاستعمارية والتي كانوا ضميرها الحي أمام مهمة ترتيب المخطوطات العربية المكتشفة هنا وهناك لاستغلالها ، وأيضا ترتيب المكتبات الحديثة ، وقد كان هؤلاء المستشرقون يبحثون في الواقع عن كل المخطوطات الضرورية لإثراء مجموعاتهم الخاصة أو المكتبات التي كانت تحت إشرافهم[10]، ولأهميتها يذكر الكونت اوفاروف ردا على رسالة المستشرق الفرنسي دوساسي Do sasy عن أهمية المخطوطات بقوله تساوي (المخطوطات) أكثر مما دفع فيها، فاختيار المخطوطات وطريقة حفظها فوق كل وصف، انه كنز حقيقي، أتمنى ألا تبقى مدفونة لدينا[11]، وكان المستشرق الفرنسي دوساسي على اتصال دائم مع كل الموظفين ، حيث أنه لا يدع فرصة أبدا تمر دون التذكير بأهمية وسرعة الحصول على المخطوطات ، ويذكر في رسالته إلى أسولين دوشرفيل عددا من المخطوطات التي تنقص المكتبة الوطنية في باريس ومنها : المعلقات بشرحي التبريزي والمرزوقي ، مقامات الهمذاني مشروحة، مختلف مؤلفات المقريزي ،مؤلفات ابن خلدون التاريخية... وقد بلغ عدد المخطوطات التي خلفها دوشرفيل 1500مخطوطة منها العربية والفارسية والتركية، وهي متواجدة بالمكتبة الوطنية الفرنسية[12].

تاريخ المكتبة الوطنية الفرنسية قديم ويرجع إلى الفترة الوسيطة ولأهميتها ذكر البارون دوسلان كيف أنها تحتوي على مجموعة هائلة من الكتب والمخطوطات بقوله :والمتواتر (كذا) عندنا أن تلك الكتب النفيسة أساس خزانة كتبنا السلطانية، وكانت هذه الخزانة مختصة لملوكنا، فبذلوا في تكثيرها اجتهادهم ومالهم ... [13]، فمن خلال مقالته هذه ، يريد دوسلان أن فرنسا كانت مهتمة كثيرا بالكتب والثقافة والفكر بما فيها المخطوطات منذ القدم وليس فقط العرب والمسلمين هم من اهتموا بذلك .

أطلق عليها اسم المكتبة الوطنية المركزية قبل القرن التاسع عشر، واصبح اسمها في زمن إمبراطورية نابليون بالمكتبة الإمبراطورية Iperial ، ثم تغير اسمها مع عودة الملكية للحكم ب المكتبة الملكية Royale ثم عاد اسمها الأول ألا وهو المكتبة الوطنية بعد قيام كل من الجمهورية الثانية والثالثة، والى يومنا الحالي[14].

5 - المكتبة التابعة للمدرسة الوطنية للغات الشرقية:

أنشئت سنة 1895 وتضم كتبا مطبوعة ومخطوطات لمختلف اللغات الشرقية التي تدرس فيها ومن بينها اللغة العربية حتى انه بعض المستشرقين يوصي بمكتبته الخاصة التي جمعها طوال حياته لمكتبة اللغات الشرقية أو المكتبة الوطنية ومثال على ذلك قيام زوجة المستشرق H.Dorenbour بمنح مكتبته الخاصة إلى هذه المدرسة والتي كان يدرس فيها إلى أن توفي سنة 1909[15].

6 - فهارس المخطوطات العربية في المكتبات الجزائرية في الفترة الاستعمارية :

1. فهرس المخطوطات العربية المخطوطة في المكتبة الجزائرية (مدرسة تلمسان) للمستشرق الفرنسي فور اكوست1907الجزائر[16].
2. فهرس المخطوطات العربية الموجودة في مكتبات (زواوة، عين ماضي، عجاجة، تيماسين، ورقلة) للمستشرق الفرنسي روني باسي 1855 الجزائر[17].
3. فهرس مخطوطات زاوية الهامل للمستشرق روني باسي وقد نشرت في ايطاليا 1883، ، نشرت في المجلة الجمعية الأسيوية في ايطاليا ، مجموعة 10 [18].
4. فهرس المخطوطات العربية المحفوظة بالمكتبات الجزائرية بالجامع الكبير، من إعداد محمد بن شنب والذي يوجد به 150 مخطوط ، ولان المقام لا يتسع لذكر جميع هذه الفهارس بالتفصيل لان ذلك يحتاج إلى مؤلف كبير ، فسنكتفي بتسليط الضوء على فهرس المخطوطات العربية في مكتبة تلمسان: **فهرس المخطوطات العربية المخطوطة في المكتبة الجزائرية (مدرسة تلمسان) للمستشرق الفرنسي كور اكوست 1907الجزائر.**

August Cour, Catalogue des manuscrits arabe, méderesa de telemcen 1907.

يذكر المستشرق كور ان معظم المخطوطات لمدرسة تلمسان جمعت في زمن الحكم العسكري من طرف المترجم بيلار M.Pilar، والبعض منها أعيرت له من طرف سكان مدينة تلمسان ومدير مدرستها، فقام بنسخها وحفظها[19]، ولتسهيل عملية الفهرسة قام المؤلف كذلك بوضع اسم الكتاب باللغة الفرنسية ، ويليه عنوان المخطوط باللغة العربية، ثم يذكر عناوين المخطوطات الاخرى لنفس المؤلف ان وجدت[20]، ومثال على تلك المخطوطات الجزائرية نذكر :

- نظم الدر والعقيان في بيان شرف بني زيان لمؤلفه عبد الله ابو عبد الله محمد بن جليل التنسي التلمساني تحت رقم 5 [21].
- مخطوط تحت رقم 12 لأبي عبد الله محمد بن علي الخروبي[22] تحت عنوان "الحكم الكبرى"[23].

- مخطوط لمؤلفه أبو عبد الله احمد بن يوسف الراشدي الملياني[24] المتوفي حولي 1515-920هـ ومخطوطه بعنوان "ما جاء في شرح أسماء الله الحسنى" ومخطوط "رسالة "تحت رقم 42 و43 [25].
- مخطوط لمؤلفه ابو عبد الله محمد بن يوسف السنوسي التلمساني بعنوان نصرة الفقير في الرد على ابي الحسن الصغير تحت رقم 81[26].
- مخطوط لمؤلفه ابن الحاج التلمساني (احمد بن محمد بن عثمان بن يعقوب بن سيدي بن عبد الله التلمساني) انيس الجليس في الحناديس كتب عن سينية ابن باديس تحت رقم 93[27].

7- نماذج من أعمال أعلام المستشرقين الفرنسيين واعتنائهم بالمخطوطات

شغل موضوع المخطوطات اهتمام الفرنسيين المتواجدين بالجزائر منذ البدايات الأولى للاحتلال ، سواء أكانوا ضباطا أو مستشرقين أو كليهما ، حيث قاموا بأبحاث قصد تحديد وجرد وتحليل واستغلال كل الوثائق التي يمكن ان تحمل في طياتها معلومات تاريخية يمكن أن توظف لصالح المشروع الاستعماري[28]، خاصة فيما يتعلق بتمهيد الأوضاع في أقاصي المناطق غير الخاضعة للسيطرة والاحتلال[29]، ولقد اعتبر الفرنسيون الكتب والمخطوطات التي وقعت في ايديهم الخاصة منها أو المجمعة على المدارس والمساجد والزوايا غنيمة حرب [30]، ومن بين المستشرقين الفرنسيين الذين حملوا لواء البحث عن هاته المخطوطات وتحقيقها ونشرها نذكر:

أ- اتيان كاترومار E.Quatremere (1782-1857): بدأ خدمته سنة 1807 في قسم المخطوطات بالمكتبة الوطنية الفرنسية خلفا لدوساسي سنة 1832 في كرسي الفارسية، ومن أعماله التي صنعت شهرته، طبعة لمقدمة ابن خلدون سنة 1844 (التي عاد بها بعد ذلك في 1858 في طبعة من ثلاثة أجزاء)، ونشره لتاريخ سلاطين المماليك للمقريزي من 1837_1848 في جزئين، كان هو النموذج نفسه للعالم المتبحر الذي لم يكن يغيب عنه أي شيء في أفريقية الشمالية واسبانيا والهند، وعند وفاته خلف العديد من المؤلفات منها 1200 مخطوط[31] .

ب- ادريان باربروجر Andrien Barbrugger (1801- 1869): خريج مدرسة دي شارتر هو مؤسس نواة المخطوطات الفرنسية لمكتبة الجزائر، وأصبح أول محافظ لها سمحت ثقافته الواسعة بالاهتمام ببقايا الاحتلال الروماني فنشر الطريقة التاريخية والأثرية وهو أيضا صاحب مبادرة إنشاء الشركة التاريخية الجزائرية في 1856 التي لعبت دورا كبيرا في الدراسات العربية [32].

يذكر المستشرق الفرنسي هنري ماسي سنة 1933 قوله: تحتوي مكتبة الجزائر على ما يقارب 700 مخطوط جمعها كلها بفرنسا السيد باربريجر وهي ذات أهمية كبيرة سواء من حيث العدد أو من حيث طبيعة الآثار التي تضمها، يتكون قسم كبير منها من بقايا مكتبات قسنطينة العامة الملحقة بالمساجد، وهي تضم عددا كبيرا من الكتب المتعلقة بالدين والفقه الإسلامي أما الآثار العلمية والتاريخية والأدبية بها فهي قليلة غير أنها ذات أهمية بالغة[33] .

تمكن من خلال ذلك من جمع الكثير من المخطوطات، فمثلا جمع حوالي 800 مخطوط اثناء مصاحبته للفيلق الثاني الذي دخل مدينة قسنطينة غازيا سنة 1837،[34] فقام بجمع المخطوطات النفيسة التي كانت ملقاة في باحات القصور والمنازل والجوامع مصطحبا معه مجموعة من الجنود الفرنسيين[35] حتى انه كان يقوم بشرائها من بعض الجنود الذين يخبئون تلك المخطوطات في ملابسهم،[36] وفي الطريق من معسكر إلى مستغانم حمل جزءا من المخطوطات على ظهر بعير وجزءا على ظهر حصان، وفي اثناء السير سقط البعير من على هوة سحيقة، وكان على ظهره 40 مخطوطا، فضاعت كلها معه، اما تلك التي حملت على ظهر حصان فقد نجت ورجعت معه[37].

ومما يؤكد هنا الدور الكبير الذي قدمه المستشرق باربروجر للإدارة الاستعمارية في الجزائر من خلال أبحاثه ودراساته ما قال عنه زميله المستشرق شيربونو الذي خلفه على رئاسة الجمعية التاريخية الجزائرية سنة 1869: لقد سخر اجمل سنوات عمره وذكائه من اجل انتصار مستعمرتنا[38].

ج- البارون دوسلان Le Baron de slane 1801-1879: السيد دوسلان هو الرجل والمستشرق الفرنسي الذي يعرف أحسن من غيره عربية كل العصور، من أفصح الفصيح إلى دارجة اليوم، وكان قد وضع فهرسا للمخطوطات العربية بمكتبة باريس الوطنية، كما نشر سنة 1837 ديوان امرئ القيس (النصوص والترجمة) مسبوقا بسيرة الشاعر مأخوذا عن كتاب الأغاني وغيرها[39]، وهو واحد من أولئك الذين شغفوا بمكتبات الجزائر وخزائنها ، فأعدّ بشأنها تقريرا هاما[40]، رفعه إلى وزير التربية والتعليم الفرنسي بتاريخ 31جويلية 1845 يقع في 16 صفحة، زوده بملخصات دقيقة عن المخطوطات العربية التي أحصاها وعن أصحابها، كما نوه بأهمية محتوياتها وإفادتها لسياسة الفرنسيين ، وقد جعل تقريره محصلة لمهمة علمية أداها بالجزائر تحت عنوان "فهرس المخطوطات العربية المهمة للغاية في مكتبتي الجزائر وسي حمودة بقسنطينة"[41]، وقد أحصى دوسلان قرابة 700 مخطوط عربي في مكتبة الجزائر مما كان بيربروجر قد ساهم في جمعه، ومعظمها مخطوطات دينية فقهية في المذهبين الحنفي والمالكي وأخرى تاريخية وأدبية وعلمية، أما قسنطينة[42]، فقد تمكن من توصيف أزيد من 2500 مخطوط بها، هذا عدا عن ألاف المخطوطات التي كانت تمتلكها العائلات العريقة بالمدينة على رأسها عائلة الفكون[43] التي قال عنها المستشرق الفرنسي شارل فيرو: أنها كانت غنية لا بالكتب الخاصة بالجزائر فقط، بل بالكتب المتعلقة ببلاد الإسلام المجاورة[44].

قدر عدد مخطوطات مكتبتها سنة 1845 حسب إحصاء دوسلان ب 4000 مخطوط ، غير أنها تعرضت ما بين 1886-1898 إلى التلف والسرقة وبيع نفائسها مما أدى إلى تضاؤل عدد مخطوطاتها ليصل إلى 2000 مخطوط،[45] وعائلة باش طرزي التي حوت مكتبتها أزيد من 500 مخطوط[46]، تتناول قضايا معرفية في الفقه والعلوم الدينية ، وقد لاحظ دوسلان وجود مخطوطين نادرين بها هما: المعارف لابن قتيبة وتفسير ابن نباتة حول رسالة ابن زيدون[47].

وفضلا عن عمليات الجمع والفهرسة فقد استهوت حركة الترجمة والنشر البارون دوسلان الذي ترجم القسم الثالث من كتاب "العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر" لعبد الرحمان ابن خلدون كما رأينا سابقا ، والذي أصبح أهم مصدر لكتابة تاريخ الجزائر خلال القرنين 19و20م وساهم في توجيه المدرسة الاستشراقية الفرنسية بعد ان تم توظيفه لتبرير وإعطاء تفسيرات جديدة تخص الفترة الإسلامية[48]، وقد استفادت منه الإدارة الاستعمارية الفرنسية عن طريق توظيف فقرات من كتابه خاصة في ما يتعلق بمرحلة " الهجرة الهلالية" لخدمة مشروعها فمثلا اقتطفت منه عبارة: «**إذا حل الأعراب بأوطان أسرع إليها الخراب**»[49]، وذلك بهدف إعطاء صورة للعرب على أنهم شعب غير متحضر وليس لديه قوانين تضبطه فهو عنصر مخرب أكثر منه مساعد على البناء وكل هذا لينالوا من عقول البربر بقصد التفرقة بينهم وبين العرب،[50] وخير دليل على أن هذا البحث كان موجها لتجسيد غرض الاحتلال هو أن وزارة الحربية هي من أشرفت على طبعه في سنة 1847[51]، واهم ما نشر دوسلان من التراث المخطوط كذلك:

"المغرب في ذكر بلاد افريقية والمغرب "وهو جزء من كتاب "المسالك والممالك لأبي عبيد البكري" متنا وترجمة واختار له عنوان Description de l’afrique septentrionale[52]، وعمل على طبعه ونشره سنة 1857 وقد كان مصدرا رئيسا لجل الذين كتبوا عن تاريخ المغرب في الفترة الإسلامية كهنري فورنال

وارنست مرسيي[53]، كذلك الجزء الأول من كشف المسالك والممالك " لعبد الله القرطبي بالجزائر، والمختصر في أخبار البشر لأبي الفداء[54].

د - ادموند فانيان Edmond fagnan 1846-1931: كان يشغل منصب مصلحة المخطوطات بالمكتبة الوطنية بباريس منذ عام 1873 قبل وصوله إلى الجزائر سنة 1884، وفي سنة 1885 ، كلّفه الحاكم العام في الجزائر "تيرمان" بمهمة البحث عن المخطوطات في عمالة وهران، وقد أنجز فانيان فهرسة المخطوطات العربية والتركية والفارسية وذلك بالاعتماد على أعمال سابقيه ، بيربروجر ودوسلان وأحصى في هذا العمل حوالي 1897 مخطوطة[55].

هـ- موتيلانسكي Motylinski 1854-1907: يعد موتيلانسكي واحدا من المستشرقين الذين اهتموا بالدراسة والبحث في مجال المخطوطات ولاسيما للكتب الاباضية، ففي سنة1883 عندما كان مترجما عسكريا في غرداية قدم إلى القائد الأعلى للمنطقة تقريرا يقول فيه: "عند وصولي إلى غرداية اتصلت مباشرة ببعض الطلبة الميزابيين الذين ارتأيت انه بإمكانهم إفادتي بمعلومات دقيقة فيما يخص كتب المنطقة ، وبفضل احد طلبة مليكة الحاج احمد بن داود الذي أعرت له أنا شخصيا بعض الكتب المطبوعة باللغة العربية قمت بالاتصالات الأولية وعن طريقه تحصلت على معظم المخطوطات التي تندرج في الفهرس الذي ابعث لكم اليوم نسخة منه"[56].

يحتوي هذا الفهرس وصفا بيبليوغرافيا لثلاثة عشر مخطوطا إلى جانب العناوين وأسماء المؤلفين بالعربية والفرنسية ، وتحليلا موجزا يوضح طبيعة المخطوط من حيث أهمية وقيمته التاريخية والعلمية، وقد جمع موتيلانسكي مخطوطات أخرى تشكل الجزء الثاني للفهرس[57].

كما يعود الفضل لهذا المستشرق في ترجمة فهرس الشيخ ابو القاسم بن إبراهيم البرادي الذي يحتوي على 82 كتابا يضم تراث المذهب الاباضي منذ بداية الدعوة إلى غاية القرن 9ه-14م وهي تتوزع على الشكل الأتي: كتب اباضية المشرق 33 كتابا، كتب اباضية جبل نفوسة 12 كتابا ، كتب اباضية الغرب 37 كتابا[58].

ز- روني باسي René Basset 1855-1924: من المستشرقين الفرنسيين الذين اهتموا باستكشاف بعض المكتبات الجزائرية خاصة في منطقة الصحراء، ففي شهر مارس 1885 كُلِف من طرف الحاكم العام للجزائر السيد تيرمان بدراسة اللهجات الامازيغية في واد مزاب ووادي ريغ[59]، وفي ورقلة تحصل بواسطة احد الطلبة على نسخة لقاموس الامازيغية إلى جانب مجموعة من النصوص ، وقد سمحت له زيارة مكتبات هذه المنطقة (ورقلة) بانجاز قائمة في حوالي 300او 400 مجلد منها: تراجم شيوخ سدراتة وعدة نسخ لانتشار الإسلام في إفريقيا في القرن 7م ، وقد علّق روني باسية على مخطوطات ورقلة بأنها كانت في وضعية متردية إلى درجة انه ليس من السهل الاستفادة منها[60].

كما قام باسيه بفهرسة مخطوطات زاوية الهامل ببوسعادة بعدما كلّفه الجنرال كولي ميقريه Collet Meygret سنة 1869، والتي قدرت ب 53 مخطوط وفي 99 مجلد وتهتم بميادين المعرفة التالية: (الفقه، تفسير القرآن، التاريخ، التصوف، وعلوم اللغة)، وأثناء زيارته لمكتبات عين ماضي وتماسين بوساطة الحاكم العام لويس تيرمان Louis Tirman 1881-1891 الذي راسل كل من سي احمد مقدم زاوية عين ماضي ، شيخ الطريقة التيجانية سيدي محمد الصغير وأخوه سيدي معمر الموجود بتماسين ، تمكن من إتمام مشروعه العلمي في معاينة المكتبات وفهرستها[61].

ك- شاخت Shacht: كان شاخت من المهتمين كثيرا بالتراث العربي الإسلامي المخطوط في مكتبات الصحراء الجزائرية وبخاصة المخطوطات الاباضية، الأمر الذي اهّله لزيارة منطقة وادي مزاب في ديسمبر 1952 وقام بإعداد فهرس لمكتبتها يحتوي على 151 كتابا بين مخطوط ومطبوع ، وقد أورد شاخت

ملاحظات حول هذه الفهرسة بأنها تضم فقط كتب العلوم الإسلامية وتاريخ بني مزاب[62] موزعة على النحو الاتي : (تفسير وقراءات –حديث وسيرة – أصول الفقه- الكتب الفقهية الهامة- مسائل دقيقة- العقيدة وعلم الكلام – الجدل و الدعوة- العبادات- التاريخ) [63]وهي محفوظة في مكتبة الشيخ محمد بن يوسف اطفيش وملحق مكتبة الغناي في بني يزقن[64] .

هذا إضافة إلى مساهمات كل من جاك اوغست شيربونو jacque auguste cherbonneau الذي قام بأهم عمل وهو تحريره للفهرسة المنهجية لمكتبة سي بن سعيد باش طرزي إمام وشيخ الحنفية في قسنطينة وكور Cour الذي قام بفهرسة مكتبة تلمسان التي نشرها في سنة 1907 وتتكون من 110 مخطوط[65].

خاتمة

في الأخير يمكن القول ان الدور الايجابي الذي قام به المستشرقون الفرنسيون في الجزائر في مجال المخطوطات لا يمكن ان ينكره احد، فهم ساهموا في الرحلة إليها والبحث عنها وجمعها وحفظها وصيانتها وفهرستها وتوثيقها وضبطها ببيليوغرافيا وترجمتها وتحقيقها ونشرها،[66] هذا من جانب ومن جانب أخر ينبغي ان ينظر إلى عمل هؤلاء المستشرقيين على انه غاية في حد ذاتها لأنه من المعقد ان نفصل بين عمل هؤلاء والمشروع الاستعماري الذي يهدف إلى تجسيد السيطرة والهيمنة على الجزائر باعتبار ان التراث الجزائري المخطوط كان يمثل المصدر الأساسي والوحيد الذي سمح للسلطات الاستعمارية ان تفهم التركيبة الاثنوغرافية والاجتماعية والثقافية للشعب الجزائري،[67] وفي هذا الصدد يقول احد الباحثين : «إن عنايتهم بالتراث كانت ومازالت من باب –اعرف عدوك- فهذه المخطوطات هي الخرائط والصور لعقولنا وعواطفنا واتجاهاتنا واهتماماتنا...وهي المفاتيح التي عرفوا بها كيف يخططون لاحتوائنا ثقافيا بعد ما حطمونا عسكريا »[68].

فجنوح الفرنسيين إلى هذا النوع من الدراسات يخفي أغراضا عدوانية استعمارية ولا ادّل على ذلك من كون الوزارة الوصية على هذه الأبحاث هي وزارة المستعمرات الفرنسية[69].

من النتائج أيضا نذكر:

- تعدد المؤسسات الاستشراقية الفرنسية في مجال المخطوطات وتنوعها كالمكتبات والجمعيات والمجلات وغيرها من المؤسسات
- عني المستشرقون الفرنسيون عناية كبيرة بالمخطوطات العربية صيانة وفهرسة وترجمة وتحقيقا وفي الأخير نشرا.
- سمحت لنا الدراسات الاستشراقية الفرنسية الكثيرة على التعرف على تراثنا المخطوط وكذلك التعرف على المصادر والموسوعات التي تحفظ للأمة هويتها
- لا احد ينكر فضل المؤسسة الاستشراقية الفرنسية في حفظ المخطوط العربي في الجزائر وفي غيرها من البلدان الأخرى لكن لا يجب أن ننسى أن جل المخطوطات تحصلوا عليها بالطرق الغير مشروعة
- من الإنصاف أن نقر بالدور الكبير الذي قامت به المدرسة الاستشراقية الفرنسية ومستشرقوها في مجال حفظ المخطوطات.

قائمة المصادر والمراجع:

1- مصابيح غنية، المخطوط العربي في ظل التكنولوجيا خدمة الإعلام والاتصال، مذكرة لنيل الماجستير في علم المكتبات، جامعة قسنطينة، قسم المكتبات والمعلومات، 2010م، ص15.
2- ادوارد سعيد؛ الاستشراق المعرفة السلطة الإنشاء؛ تح: كمال أبو ديب؛ مكتبة ديوان العرب؛ د.ط؛ د.ب.ن؛ د.ت.ن؛ ص 30.
3- إبراهيم انس وآخرون، المعجم الوسيط، ط 2، دار إحياء التراث العربي، لبنان، د س، ج 1، ص 244.
4- الله توما جان، تحقيق المخطوطات العربية، ط 1، المؤسسة الحديثة، لبنان، 2011، ص 25.
5- ايمن فؤاد السيد، الكتاب العربي المخطوط وعلم المخطوطات، ط 1، الدار المصرية للنشر، القاهرة، 1997، ص113.
6- حمدي زقزوق، الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار، 1970، ص 78.

7- انظر الملحق رقم 1.
8- ريغ دانيال، رجل الاستشراق، تر : ابراهيم صحراوي، دار التنوير، الجزائر، 2013، ص 128.
9- جريدة المبشر، 30 اكتوبر، 1847.
10- ريغ دانيال، مرجع سابق، ص 130.
11- ريغ دانيال، مرجع نفسه، ص 131.
12- جريدة المبشر، 30 اكتوبر، 1847.
13- محمود المقداد، مرجع سابق، ص 64-65.
14- محمود المقداد، مرجع نفسه، ص 66-67.
15- Voir,August Cour, catalogue des manuscrits arabes, méderesa de telemsen 1907
16- Voir, René Bassé, les manuscrits arabes des bibliotheques des Zaouias de ain madhi et temacin, ouargla et de adjadja, Alger, 1885
17- Voir, René Bassé, Le manuscrit arabe de la Zaouiyah d'Al-hamel(1897) ,pp 43 ,97
18- Auguste Cour ,catalogue des manuscrits arabes mederesa de Telemcen, principales bibliotheque algerienne, imprime typographie Adolphe fordan ,Alger,1907, p 5
19- Ibid, p 6
20- Ibid, p 15
21- هو عالم الجزائر الكبير وإمامها الشهير، كان من أهل الحديث والفقه والتصوف إلى جانب إمامته في التفسير، كان كثير الترحال، كما كون مدرسة للحديث النبوي والفقه والتصوف، أقام في مدينة بجاية في منطقة العبدل، وهناك ألف كتابه الجامع لجمل من الفوائد والمنافع بمسجد سيدي يحي بن محمد العبدلي، وكتاب رياض الإزهار وكنز الأسرار، وشرح الحكم الكبرى وغيرها، توفي في 963 ه- 1555م، انظر: معالم الدين في زمن الغابرين، محمد بن علي الخروبي الطرابلسي الجزائري المالكي، تحقيق وتعليق الشيخ كامل عويضة، دار الكتب العلمية، 1971، بيروت لبنان، ص 11-13.
22- Auguste Cour ,Op cite, p 18
23- قال عنه أبو القاسم الحفناوي في كتابه تعريف الخلف برجال السلف، هو الشيخ الولي الصالح القطب الغوث الزاهد العارف العالم المحصل السالك الناسك المقرئ بالقراءات السبعة المحقق الحجة، ابو العباس احمد بن يوسف الراشدي نسبا ودارا المليانى، انظر: ابي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، دراسة وتحقيق خيرالدين شترة، دار كردادة للنشر والتوزيع، بوسعلدة الجزائر، ط1، 2012، ج1، ص 97.
24- Auguste Cour ,Op cite, p30
25- Ibid, p 43
26- Ibid, p 48.
27- عبد الحميد أعراب، "مخطوطات شمال الصحراء والاستشراق الفرنسي في الجزائر"، المجلة المغاربية للمخطوطات، مخبر المخطوطات، جامعة الجزائر 2، ع1، الجزائر، 2004، ص 69.
28- احمد بوسعيد، "البارون دوسلان 1801-1879 وحركة نشر المخطوط الجزائري "، مجلة رفوف، يصدرها مخبر المخطوطات الجزائرية في افريقيا، جامعة احمد دراية أدرار، ع11، الجزائر، 2017، ص 130.
29- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الإسلامي، لبنان، 1998، ج5، ص 332.
30- ريغ دانيال، مصدر سابق، ص 34-135.
31- Henri Massé, Les etudes arabe en algerie 1830-1930, revue africaine, Jourdan libraire, Alger N 74, 1933, p 216
32- Henri Massé, op cite , pp 216-217
33- Francis Laloe, Autour de l'incendie de la bibliotheque d'alexendrie, Revue Africaine, N 66, 1925, pp 103-104
34- في هذا الصدد يعترف اسكر وهو احد مدراء المكتبة الوطنية ان العديد من المكتبات الفرنسية تمتلك مجموعات من المخطوطات مصدرها مدينة قسنطينة وقد كانت فيما يبدوا هدايا من ظباط الحملة على قسنطينة، انظر، Francis Laloe, op cite, p107
35- Ibid, p 105
36- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، ج5، ص 334
37- Cherbonneau, Nécrologies de M . L. J. Bresnier et Berbrugger, revue africaine, V 13, Jourdan libraire, Alger1869, p 321
38- ريغ دانيال، المصدر السابق، ص 138، (نقلا عن ارنست رينان، الجريدة الاسيوية، X-IV , 1897 ص 12).

39- يريد المستشرق دوسلان من خلال تقريره هذا " ان فرنسا كانت مهتمة كثيرا بالكتب والثقافة والفكر ومنها المخطوطات منذ القدم وليس العرب والمسلمون فقط هم الذين اهتموا بذلك، انظر، ابراهيم لونيسي، مرجع سابق، ص 143.

40- De slane baron,rapport adressé A M le ministre de l'instruction public,imprimerie de paul dupont, paris,1845 , p 3

41- يعترف المستشرق دوسلان في تقريره عن المكتبات في قسنطينة، ان بعض المؤسسات والعائلات كانت تحتفظ بمخازن من المخطوطات في حالة جيدة، وان هذه المخطوطات نوادر، تعتبر فذه في موضوعها، انظر : ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، دار الغرب الاسلامي، لبنان، 1998، ج1، ص287

42- احمد بوسعيد، "البارون دوسلان 1801-1879 وحركة نشر المخطوط الجزائري "،مرجع سابق، ص ص 142 144.

43- Francis Laloe, Autour de l'incendie de la bibliotheque d'alexendrie, Revue Africaine , N 66, 1925, p 103

44- Fangan Edmond , « la collection des manuscrit de si Hamouda , Revue Africaine , vol 36 , Alger , 1892 , p.165.

45- De slane baron,Op cite, p4

46- ابو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي 1830-1954، دار الغرب الإسلامي، لبنان،1998، ج5، ص 383.

47- De slane baron,Op cite, p4

48- كريم بوترعة، الاستعمار وظاهرة الاستشراق الفرنسي في الجزائر " سلسلة محاضرات الملتقى الدولي محمد بن شنب والاستشراق، المنظم بولاية المديةمن 7 الى 10 ديسمبر 2014 الجزائر في 2015، ص 330.، ص 330.

49- إسماعيل سامعي، جهود الاستعمار في تأصيل تاريخ الجزائر خلفية لمشروع الاستعمار الثقافي، مجلة المعيار، كلية أصول الدين جامعة الأمير عبد القادر قسنطينة، الجزائر، مج 10، ع 5، 2005، ص 99.

50- كريم بوترعة، مرجع سابق، ص 340.

51- احمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 147.

52- المرجع السابق، ص 141.

53- كريم بوترعة، مرجع سابق، ص 340.

54- احمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 141.

55- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها، مرجع سابق، ص ص 320-321.

56- عبد الحميد أعراب، مرجع سابق، ص 71.

57- المرجع السابق، ص 71.

58- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها، مرجع سابق، ص 328.

59- Voir l'introduction de livre, René Bassé, Etude sur la Zénatia du Mzab de ourgla et de l'oued RIR, imprimrie er,est leroux, 1892, p 6

61- عبد الحميد أعراب، مرجع سابق، ص 70.

61- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها، مرجع سابق، ص ص 319-320.

62- المرجع السابق، ص 328.

63- عبد الحميد أعراب، مرجع سابق، ص 73.

64- حنفي هلايلي، المستشرقون الفرنسيون وإعادة بعث مخطوطات الجزائر وتنظيمها، مرجع سابق، ص 328.

65- المرجع السابق، ص ص 322، 326.

66- عمر بن عراج، مرجع سابق، ص 49.

67- عبد الحميد أعراب، مرجع سابق، ص 74.

68- عبد العظيم الديب، المستشرقون والتراث، الوفاء للطباعة والنشر، المنصورة مصر، ط3، د.س، ص 746.

69- احمد بوسعيد، مرجع سابق، ص 149.